لماذا انتخب التونسيون النهضة؟



أرجع خبراء علم اجتماع فوز حركة النهضة التونسية في انتخابات المجلس الوطني التأسيسي إلى قرب خطابها السياسي من هموم المواطن التونسي، وتميزه عن غيره لموافقته بين الجانبين الحضاري والحداثي، فضلا عن استفادة الحركة من رصيدها النضالي، وتوفرها على شبكات قوية من الأنصار. وتصدرت النهضة النتائج الجزئية لتونسيي الداخل والنهائية لتونسيي الخارج، في أول انتخابات بعد الإطاحة بنظام الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي، عرفت مشاركة شعبية غير مسبوقة. فقد قال رئيس الجمعية التونسية لعلم الاجتماع عبد الستار السحباني إن الحركة سلكت منذ الثورة "مسارا متشددا ودائما كانت في موقف الرافض، حيث لم تشارك في أي حكومة مما منحها بريقا سياسيا"، مشيرا إلى أن المواطن التونسي يعتقد أنها "الوحيدة القادرة على القضاء على الفساد". - سلوكٌ راشدٌ

وفي تقييم مسار الحركة خلال الحملة الانتخابية، رأى أستاذ علم الاجتماع بالجامعة التونسية ماهر تريمش أن النهضة قدمت خلال الحملة الانتخابية "سلوكا سياسيا يتميز بالرشد والاتزان والواقعية، وهو ما لاقى استحسان الناخبين". وقال للجزيرة.نت إن مسؤولي الحركة "أحسنوا

إدارة الأزمات التي ظهرت على المشهد السياسي في الشهور التي تلت الثورة وخلال الحملة الانتخابية"، واستفادوا من الأخطاء السياسية للأحزاب الأخرى. ولفت تريمش إلى أن بعض تلك الأحزاب تعاملت مع مسألة هوية الشعب التونسي "بشكل استفزازي"، في إشارة إلى الأزمة التي أعقبت بث قناة نسمة التونسية الخاصة فيلما كارتونيا صور الذات الإلهية، مما أثار استياء فئات عريضة من الشعب التونسي. ورأى أنه في مقابل تسويق أطراف سياسية "لخطاب أحادي"، تميز خطاب النهضة بالوسطية، جامعا بين البعدين الحضاري والحداثي، "وهو ما طمأن أغلبية فئات الشعب التونسي"، كما أدرات النهضة جوانب هذا الخطاب المتعلقة بالبعد الديني "بشكل جيد". -

عوامل مساعدة وعن العوامل الأخرى التي ساعدت في ترجيح كفة النهضة، أشار الأستاذ الجامعي إلى العمق التاريخي للحركة في الخيال الشعبي التونسي، وارتباطه بالنضال ضد النظام الدكتاتوري مع أطراف سياسية أخرى. ورغم إقراره بأن ممارسة النضال السياسي لم تكن حكرا على النهضة، فإن ترميش أكد أن الشرعية النضالية للحركة ما زالت "حاضرة بقوة في الذاكرة القريبة الآنية للمواطن التونسي". أما الباحث الاجتماعي منصور الكلابي فحصر فوز النهضة في أسباب "بعيدة"، تكمن في أن النماذج القومية واليسارية التي أتت بعد الاستقلال لم تستطع تحقيق التنمية المطلوبة، وأنتجت أنظمة حكم استبدادية. أما "القريبة"، فهي منهجية النهضة المتبعة في التعامل مع هموم الناس، والمعتمدة بالأساس على مبدأ القرب، معتبرا أن مناضلي الحركة كانوا قريبين من مشاغل المواطنين اليومية، وهو ما أثر في الناخبين. وأضاف أن الحركة استفادت أيضا من نتائج العمل الخيري، والتركيز على الخطاب الديني المعاصر، باعتبار أن التونسيين شعب "مسلم عبر تاريخه ومعتدل في أفكاره".

وفي الجهة المقابلة، يرى الباحث الاجتماعي أن خطاب قوى اليسار بقي "نخبويا بعيدا عن الاستجابة لهموم الشعب التونسي"، وظل محصورا بين عدد من المثقفين. أما على المستوى التنظيمي، فقد رأى المتخصص في الحركات الإسلامية صلاح الدين الجورشي أن النهضة تتوفر على "شبكة من الأنصار في كل القرى والمدن التونسية"، وقال إن هؤلاء يتميزون بقدرة تواصل عالية مما وفر للحركة "ماكينة انتخابية افتقدتها بقية الأحزاب السياسية". -

"شيطنة النهضة" على أن أهم الأسباب التي منحت الفوز لقوائم النهضة هي "ضعف الخصوم وتشرذمهم". وقال الجورشي في هذا الصدد إن "القوى السياسية اليسارية والحداثية وجدت نفسها لا تتمتع بالجهوزية الميدانية لمواجهة المنافسة القوية من النهضة". وبينما ركزت تلك الأطراف على "مهاجمة النهضة وشيطنتها، عملت الأخيرة على التواصل مع الناس والاستماع إلى همومهم". وعن أهم المسؤوليات الملقاة على كاهل الحركة خلال المرحلة القادمة، قال الجورشي إن النهضة "اليوم في مأزق ليس بالسهل، لأن وجودها كقوة مركزية يحتم عليها الاستجابة لمطالب التونسيين العالية السقف"، محذرا من تصويت عقابي في الانتخابات القادمة

إن لم تستجب الحركة لتلك المطالب. وفي تقييم مسار الحركة خلال الحملة الانتخابية، رأى أستاذ علم الاجتماع بالجامعة التونسية ماهر تريمش أن النهضة قدمت خلال الحملة الانتخابية "سلوكا سياسيا يتميز بالرشد والاتزان والواقعية، وهو ما لاقى استحسان الناخبين". وقال إن مسؤولي الحركة "أحسنوا إدارة الأزمات التي ظهرت على المشهد السياسي في الشهور التي تلت الثورة وخلال الحملة الانتخابية"، واستفادوا من الأخطاء السياسية للأحزاب الأخرى. ولفت تريمش إلى أن بعض تلك الأحزاب تعاملت مع مسألة هوية الشعب التونسي "بشكل استفزازي"، في إشارة إلى الأزمة التي أعقبت بث قناة نسمة التونسية الخاصة فيلما كارتونيا صور الذات الإلهية، مما أثار استياء فئات عريضة من الشعب التونسي. ورأى أنه في مقابل تسويق أطراف سياسية "لخطاب أحادي"، تميز خطاب النهضة بالوسطية، جامعا بين البعدين الحضاري والحداثي، "وهو ما طمأن أغلبية فئات الشعب التونسي"، كما أدرات النهضة جوانب هذا الخطاب المتعلقة بالبعد الديني "بشكل جيد". عوامل مساعدة وعن العوامل الأخرى التي ساعدت في ترجيح كفة النهضة، أشار الأستاذ الجامعي إلى العمق التاريخي للحركة في الخيال الشعبي التونسي، وارتباطه بالنضال ضد النظام الدكتاتوري مع أطراف سياسية أخرى. ورغم إقراره بأن ممارسة النضال السياسي لم تكن حكرا على النهضة، فإن ترميش أكد أن الشرعية النضالية للحركة ما زالت "حاضرة بقوة في الذاكرة القريبة الآنية للمواطن التونسي". أما الباحث الاجتماعي منصور الكلابي فحصر فوز النهضة في أسباب "بعيدة"، تكمن في أن النماذج القومية واليسارية التي أتت بعد الاستقلال لم تستطع تحقيق التنمية المطلوبة، وأنتجت أنظمة حكم استبدادية. أما "القريبة" فهي منهجية النهضة المتبعة في التعامل مع هموم الناس، والمعتمدة بالأساس على مبدأ القرب، معتبرا أن مناضلي الحركة كانوا قريبين من مشاغل المواطنين اليومية، وهو ما أثر في الناخبين. العمل الخيري وأضاف أن الحركة استفادت أيضا من نتائج العمل الخيري، والتركيز على الخطاب الديني المعاصر، باعتبار أن التونسيين شعب "مسلم عبر تاريخه ومعتدل في أفكاره". الجورشي: النهضة تمتلك ماكينة انتخابية من الأنصار قوية افتقدتها بقية الأحزاب السياسية وفي الجهة المقابلة، يرى الباحث الاجتماعي أن خطاب قوى اليسار بقي "نخبويا بعيدا عن الاستجابة لهموم الشعب التونسي"، وظل محصورا بين عدد من المثقفين. أما على المستوى التنظيمي، فقد رأى المتخصص في الحركات الإسلامية صلاح الدين الجورشي أن النهضة تتوفر على "شبكة من الأنصار في كل القرى والمدن التونسية"، وقال إن هؤلاء يتميزون بقدرة تواصل عالية مما وفر للحركة "ماكينة انتخابية افتقدتها بقية الأحزاب السياسية". "شيطنة النهضة" على أن أهم الأسباب التي منحت الفوز لقوائم النهضة هي "ضعف الخصوم وتشرذمهم". وقال الجورشي في هذا الصدد إن "القوى السياسية اليسارية والحداثية وجدت نفسها لا تتمتع بالجهوزية الميدانية

لمواجهة المنافسة القوية من النهضة". وبينما ركزت تلك الأطراف على "مهاجمة النهضة وشيطنتها، عملت الأخيرة على التواصل مع الناس والاستماع إلى همومهم". وعن أهم المسؤوليات الملقاة على كاهل الحركة خلال المرحلة القادمة، قال الجورشي إن النهضة "اليوم في مأزق ليس بالسهل، لأن وجودها كقوة مركزية يحتم عليها الاستجابة لمطالب التونسيين العالية السقف"، محذرا من تصويت عقابي في الانتخابات القادمة إن لم تستجب الحركة لتلك المطالب.